

أسس الحدائين في الطعن في صحيح البخاري

الأستاذ الدكتور : نصر سلمان

مدير مخبر الدراسات القرآنية والسنة النبوية

بجامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة

لقد برزت أصوات ناعقة تنكر السنة إما جملة، وإما تفصيلاً، وإما بردّ وإنكار ما ورد فيها زائدا عما في القرآن الكريم، وقد اعتمدوا في طعونهم هذه على شبه واهية، لا تقنع من كان له أدنى حظ من العلم، فراحوا يركزون طعونهم على صحيح الإمام البخاري، لما يعلمونه من مهابته ومكانته في نفوس المسلمين، الذين يعتقدون صحة جميع ما ورد فيه كما جاء في شذرات الذهب " أجمع الناس على صحة كتابه، حتى لو حلف حالف بطلاق زوجته ما في صحيح البخاري كله حديث مسند إلى رسول الله ﷺ إلا وهو صحيح عنده، كما نقله، ما حكم بطلاق زوجته، نقل ذلك عن غير واحد من الفقهاء وقرووه"¹. مما جعلنا ندق ناقوس الخطر، ونشمر عن ساعد الجد لعرض طعونهم، ومناقشتها علمياً قصد بيان مدى صدقيتها، أو كذبها، هذا ما سوف نورد في هذه العجالة، وذلك من خلال النقاط الآتية :

النقطة الأولى: إن بعض الأحاديث المروية في صحيح البخاري تتناقض مع الدليل العقلي القاطع، والاكتشافات العلمية الحديثة، ولا مخلص من ذلك إلا بالاعتصار على القرآن الكريم وحده².

والجواب عن ذلك: إن القاعدة في الشريعة الإسلامية وجوب الأخذ بظواهر القرآن والحديث الثابت ما لم يتم دليل عقلي قاطع يناهض ظاهر شيء من ذلك، فإن قام دليل عقلي قاطع يناهض ظاهر آية أو حديث كان علينا تأويل هذا الظاهر وذلك للرجوع به إلى معنى محتمل يحصل به التوفيق بين ذلك النص، وبين الدليل العقلي القاطع، وليس في القرآن، ولا في الأحاديث الثابتة عن رسول الله ﷺ شيء

¹ - ابن العماد : شذرات الذهب. 136-135/2.

² - شعبان محمد إسماعيل : مصادر التشريع الإسلامي. 210.

يخالف ظاهره الدليل العقلي القاطع، إلا ويمكن تأويل ظاهره، والتوفيق بينه، وبين ذلك الدليل، أما النصوص التي لا تقبل التأويل، ومعانيها متعينة، فلا شيء منها يخالف الدليل العقلي القاطع، ولا يمكن أن يقام دليل عقلي على مخالفتها³.

النقطة الثانية: إن السنة لو كانت حجة في التشريع لأمر النبي ﷺ بكتابتها، كما أمر بكتابة القرآن بل إنه نهي عن كتابتها، وقد اعتمدوا في ذلك على ما رواه أبو سعيد الخدري أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: "لا تكتبوا عني، ومن كتب عني غير القرآن فليمحه، وحدثوا عني ولا حرج ومن كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار"⁴.

والجواب عن ذلك :

نقول إنه لم يرد حديث أبي سعيد الخدري وحده في النهي عن الكتابة، بل وردت آثار كثيرة في النهي عن ذلك، كما وردت آثار أخرى في مقابلتها تبيح الكتابة ومنها :

أ. عن أبي هريرة قال : ليس أحد من أصحاب رسول الله ﷺ أكثر حديثا عن النبي - صلى الله عليه وسلم - مني، إلا ما كان من عبد الله بن عمرو فإنه كان يكتب ولا أكتب⁵.

ب. عن عبد الله بن عمرو قال : كنت أكتب كل شيء أسمعه من رسول الله ﷺ أريد حفظه، فنهتني قريش، وقالوا : تكتب كل شيء سمعته من رسول الله ﷺ ورسول الله ﷺ بشر يتكلم في الغضب والرضى، فأمسكت عن الكتاب، فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ فأوماً بأصبعه إلى فيه، وقال : "أكتب فوالذي نفسي بيده، ما خرج منه إلا حق"⁶.

³ - نفسه. 211.

⁴ - مسلم، كتاب الزهد، باب : التثبت في الحديث. 2298/4-2299، والديلمي : الفردوس. 182/5، وأحمد : المسند.

2، 21، 39، 56/3.

⁵ - الدارمي : السنن، باب : "من رخص في كتابة العلم". 136/1.

⁶ - نفسه. 136.

جـ . عن بشير بن نهيك قال : كنت أكتب ما أسمع من أبي هريرة فلما أردت أن أفارقه أتيت به بكتابه فقرأته عليه، وقلت له : هذا ما سمعت منك، قال : نعم⁷.

د . عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال : ما يرغبني في الحياة، إلا الصداقة والوهط، فأما الصداقة فصحيفة كتبتها من رسول الله ﷺ، وأما الوهط فأرض تصدق بها عمرو بن العاص كان يقوم عليها⁸.

هـ . عن عمرو بن أبي سفيان أنه سمع عمر بن الخطاب يقول : "قيدوا العلم بالكتاب"⁹.

و . عن شرحبيل بن سعد قال : دعا الحسن بنيه وبني أخيه فقال : يا بني وبني أخي إنكم صغار قوم يوشك أن تكونوا كبار آخرين، فتعلموا العلم، فمن لم يستطع منكم أن يروييه، أو قال : . يحفظه .، فليكتبه وليضعه في بيته¹⁰.

ز . عن أبي قلابة قال : خرج علينا عمر بن عبد العزيز لصلاة الظهر ومعه قرطاس، ثم خرج علينا لصلاة العصر وهو معه، فقلت له : يا أمير المؤمنين ما هذا الكتاب؟ قال : حديث حدثني به عون ابن عبد الله فأعجبني، فكتبته، فإذا فيه هذا الحديث¹¹.

حـ . ما رواه أبو هريرة أنه لما فتح الله على رسوله ﷺ مكة، قام الرسول . صلى الله عليه وسلم . وخطب في الناس، فقام رجل من اليمن يقال له أبو شاه، فقال : يا رسول الله اكتبوا لي، فقال : ρ : "اكتبوا لأبي شاه"¹².

وقد وقع التوفيق بين هذه الأحاديث والآثار على النحو الآتي :

⁷ - الدارمي : السنن . 138.

⁸ - نفسه . 138.

⁹ - نفسه . 138.

¹⁰ - نفسه . 140.

¹¹ - نفسه . 140.

¹² - البخاري : كتاب الديات، باب : "من قتل له قتيل فهو بخير النظرين" . 8/9.

أ . أن النهي خاص بكتابة الحديث مع القرآن خشية وقوع التباسه بغيره، والإذن في غير ذلك الوقت¹³ .

ب . أن النهي خاص بكتابة الحديث مع القرآن في صحيفة واحدة، لأنهم كانوا يسمعون تأويل الآية فرمما كتبوه معها، فنهوا عن ذلك خوف الالتباس، والإذن بكتابة الحديث في صحف مستقلة ليس فيها شيء من القرآن¹⁴ .

ج . أن النهي خاص بكتّاب الوحي المتلو وهو القرآن، الذين كانوا يكتبونه في صحف لتحفظ في بيت النبوة، فلو أنه أجاز لهم كتابة الحديث، لم يؤمن أن يختلط القرآن بغيره، والإذن لغيرهم¹⁵ .

د . أن النهي لمن أمن عليه النسيان ووثق بحفظه وخيف اتكاله على الخط إذا كتب، والإذن لمن خيف نسيانه ولم يوثق بحفظه، أو لم يخف اتكاله على الخط إذا كتب¹⁶ .

هـ . أن النبي ﷺ خص بهذا عبد الله بن عمرو، لأنه كان قارئاً للكتب المتقدمة، ويكتب بالسريانية والعربية، وكان غيره من الصحابة أميين، لا يكتب منهم إلا الواحد والاثنان، وإذا كتب لم يتقن ولم يصب التهجي، فلما خشى عليهم الغلط فيما يكتبون نهاهم، ولما أمن على عبد الله بن عمرو ذلك أذن له¹⁷ .

و . أن يكون من منسوخ السنة بالسنة كأنه نهى في أول الأمر عن أن يكتب قوله، ثم رأى بعد . لما علم أن السنن تكثر وتفوت الحفظ . أن تكتب وتفيد قاله ابن قتيبة¹⁸ ، ومثله في معالم السنن للخطابي حيث قال : "يشبه أن يكون النهي متقدماً وآخر الأمرين الإباحة"¹⁹ .

¹³ - السيوطي : تدريب الراوي . 63/2 .

¹⁴ - السخاوي : فتح المغيث . 18/2 .

¹⁵ - علوم الحديث . 182 .

¹⁶ - نفسه .

¹⁷ - ابن قتيبة : تأويل مختلف الحديث . 266 .

¹⁸ - نفسه .

هذا إضافة إلى أن الكتابة لم تتعين طريقا لصيانة السنة، بل هناك ملكات الصحابة في الحفظ تقوم مقام الكتابة بل أكثر، فإنهم كانوا لا يعولون إلا على الحفظ ويعيرون الكتابة، ويقولون لأتباعهم احفظوا عنا كما كنا نحفظ، وذلك مثلما ورد عن أبي نضرة أنه قال : قلت لأبي سعيد الخدري : ألا تكتبنا فإننا لا نحفظ؟ فقال : لا إنا لن نكتبكم، ولن نجعله قرآنا، ولكن احفظوا عنا كما حفظنا نحن عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم -²⁰.

فلو أن السنة لم تكتب أصلا على عهد النبي ﷺ وأصحابه، لما كان ذلك مؤديا لعدم الثقة بها، وذلك لأن صدور الصحابة كانت أوعية لصيانتها، ودرعا واقية لها، إذ كانت ملكات في الحفظ لم يبلغ شأوها أفراد أمة من الأمم، وقد استمر الأمر على هذا النهج من حفظ السنة في الصدور حتى ظهرت بوادر ضعف هذه الملكات فأسرع عمر بن عبد العزيز إلى إصدار أوامره لولاته بكتابة السنن، وهكذا تعاون الحفظ والكتابة بصورة رسمية إلى ان جاء عصر التدوين ودوّنت السنة النبوية الشريفة²¹.

النقطة الثالثة: إن الله تعالى يقول : "ما فرطنا في الكتاب من شيء"²²، ويقول : "ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء"²³.

وجه استدلالهم منهما : إن الآيتين قد بينتا بأن الكتاب قد حوى علم كل شيء، وأنه قد بينه بيانا لا يحتاج فيه معه إلى السنة أو غيرها، وإلا لكان الكتاب مفرطا فيه، ولما كان تبيانا لكل شيء.

والجواب عن ذلك :

¹⁹ - معالم السنن. 184/4.

²⁰ - الدارمي : السنن. 133/1.

²¹ - شعبان محمد إسماعيل : مصادر التشريع الإسلامي. 208.

²² - الأنعام : 38.

²³ - النحل : 89.

1 . أن الكتاب الوارد في الآية الأولى ليس المراد به القرآن الكريم، وإنما المراد به اللوح المحفوظ، فإنه الذي حوى كل شيء، واشتمل على جميع أحوال المخلوقات كبيرها، وصغيرها، جليلها ودقيقها، ماضيها وحاضرها ومستقبلها على التفصيل التام²⁴.

2 . أن المراد من قوله تعالى: "ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء" هو أن القرآن الكريم بيان لأمر الدين إما بطريق النص، وإما بطريق الإحالة على السنة، وإلا لتناقضت هذه الآية مع قوله تعالى: "وأنزّلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم"²⁵.

وهذا المعنى بعينه هو المراد من قوله تعالى: "ما فرطنا في الكتاب من شيء"، وقد أمر القرآن بامتنال ما جاءنا عن الرسول ρ من أمر ونهي، قال تعالى: "وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا"^{26، 27}.

3 . هذا إضافة إلى أن البيان الوارد في الآية الثانية هو اسم جامع لمعاني مجتمعة الأصول متشعبة الفروع، فجماع ما أبان الله لخلقه في كتابه مما تعبدتهم به لما مضى من حكمه جلّ ثناؤه من وجوه:
أ . فمنها ما أبانه لخلقه نصاً مثل جعل فرائضه في أن عليهم صلاة وزكاة، وصوماً وحجاً، وأنه حرّم الفواحش ما ظهر منها وما بطن، ونصّ الزنا والخمر، وأكل الميتة، والدم، ولحم الخنزير، وبين لهم كيف فرض الوضوء مع غير ذلك مما تبين نصاً.

ب . ومنها ما أحكم فرضه بكتابه، وبين كيف هو على لسان نبيه ρ مثل عدد الصلاة والزكاة، ووقتها وغير ذلك من فرائضه التي أنزل من كتابه.

²⁴ - عبد الغني بعد الخالق : حجية السنة . 384.

²⁵ - النحل : 44.

²⁶ - الحشر : 7.

²⁷ - شعبان محمد إسماعيل : مصادر التشريع الإسلامي . 205-206.

جـ . ومنها ما سنّ رسول الله ρ مما ليس لله فيه نص حكم، وقد فرض الله تعالى في كتابه طاعة رسوله ρ والانتهاة إلى حكمه، فمن قبل عن رسول الله، فبفرض الله قبل.

د . ومنها ما فرض الله على خلقه الاجتهاد في طلبه، وابتلى طاعتهم في الاجتهاد، كما ابتلى طاعتهم في غيره، مما فرض عليهم²⁸.

قال الشافعي معقبا عما سبق : "فكل من قبل عن الله فرائضه في كتابه، قبل عن رسول الله سننه، بفرض الله طاعة رسوله على خلقه، وأن ينتهوا إلى حكمه، ومن قبل عن رسول الله، فعن الله قبل، لما افترض الله من طاعته، فيجمع القبول لما في كتاب الله ولسنة رسول الله القبول لكل واحد منهما عن الله، وإن تفرقت فروع الأسباب التي قبلت بها عنهما"²⁹.

4 . أن كل ما يحكم به النبي ρ هو عين كتاب الله تعالى، ودليل ذلك: ما أخرجه البخاري : عن أبي هريرة، وزيد بن ثابت قالا : كنا عند النبي ρ فقام رجل فقال : أنشدك الله إلا ما قضيت بيننا بكتاب الله، فقام خصمه، وكان أفقه منه، فقال: اقض بيننا بكتاب الله، وأذن لي، قال : "قل" قال : إن ابني كان عسيفا على هذا³⁰، فزني بامرأته، فافتديت منه بمائة شاة وخادم، ثم سألت رجلا من أهل العلم، فأخبروني أن على ابني جلد مائة وتغريب عام، وعلى امرأته الرجم، فقال النبي ρ : والذي نفسي بيده لأقضين بينكما بكتاب الله جلّ ذكره، المائة شاة والخادم ردّ، وعلى ابنك جلد مائة، وتغريب عام، واغد يا أنيس على امرأة هذا، فإن اعترفت فارجمها" فغدا عليها، فاعترفت، فرجمها..."³¹.

²⁸ - السباعي : السنة ومكاتها في التشريع الإسلامي . 156.

²⁹ - الرسالة : 33.

³⁰ - أي كان مستخدما عنده. الفيروزآبادي : القاموس المحيط، مادة : "عسف" . 175/3.

³¹ - البخاري : كتاب المحاريين من أهل الكفر والردة، باب : "الاعتراف بالزنا" . 299/8-300.

قال الواحدي : "وليس للرحم والتغريب ذكر في نص الكتاب، وهذا يدل على أن ما حكم به النبي ρ فهو عين كتاب الله"³².

5 - إن مكانة السنة النبوية الشريفة مع القرآن الكريم، وذلك من حيث دلالتها على ما فيه على ثلاثة أقسام :

. القسم الأول : أن تدل على حكم دلّ عليه الكتاب من جميع الوجوه، فتكون موافقة له من حيث الإجمال والبيان، والاختصار والشرح، وواردة معه مورد التأكيد وذلك مثل : قوله ρ : " بني الإسلام على خمس... " مع قوله تعالى : " وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة "³³، وقوله : " يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام "³⁴، وقوله : " والله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً "³⁵.

ومثل قوله ρ : " لا يجل مال امرئ مسلم إلا بطيب من نفسه ". فإنه يوافق قوله تعالى : " ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها إلى الحكام لتأكلوا فريقاً من أموال الناس بالإثم وأنتم تعلمون "³⁶.

ومثل قوله ρ : " اتقوا الله في النساء فإنهن عوان عندكم، أخذتموهن بأمانة الله، واستحللتم فروجهن بكلمة الله ".
فإنه يوافق قوله تعالى : " وعاشروهن بالمعروف "³⁷.

القسم الثاني : أن تبين ما في القرآن الكريم، كأن تفصل مجمله أو توضح مشكله، أو تقيّد مطلقه، أو تخصص عامه، وذلك كالأحاديث التي فصلت مجمل الصلاة، والزكاة.

³² - الرازي : التفسير الكبير . 41-40/4.

³³ - البقرة : 42.

³⁴ - البقرة : 183.

³⁵ - آل عمران : 97.

³⁶ - البقرة : 188.

³⁷ - النساء : 19.

وكالأحاديث التي بينت أن المراد من الخيط الأبيض، والخيط الأسود في قوله تعالى : " حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود "38. بياض النهار وسواد الليل.

وأن المراد بالكنز في قوله تعالى : "والذين يكنزون الذهب والفضة... "39 عدم إخراج الزكاة.

وأن اليد في قوله تعالى : "فاقطعوا أيديهما... "40 مقيدة باليمين.

وأن المراد بالظلم في قوله تعالى : "الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم"41. خصوص الشرك، وأغلب السنة من هذا النوع، ولهذه الغلبة، وصفت بأنها مبينة للكتاب42.

القسم الثالث : أن تضيف حكما سكت عنه القرآن، ولم ينص عليه، ولا عما يخالفه، والأمثلة على ذلك كثيرة جدا : كالأحاديث التي دلت على التحريم بالرضاع مثلما يجرمه النسب، وكتحريم الجمع بين المرأة وعمتها، والمرأة وخالتها، وكتشريع الشفعة، والرهن في الحضر، وبيان ميراث الجدة للسدس، والحكم بشاهد ويمين، ووجوب رجم الزاني المحسن، ووجوب الكفارة على منتهك حرمة رمضان.

النقطة الرابعة : أن الفاصل الزمني بين وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم والبخاري طويل جدا، يقارب القرنين من الزمان، وهي فترة طويلة، لم يبق فيها أحد من الصحابة الذين عايشوا النبي صلى الله عليه وسلم حيا43.

والجواب عن ذلك : أن العبرة ليست بطول الفاصل الزمني، وإنما العبرة بتسلسل الإسناد، ووثاقة الرواة، ولا شك أن المتأمل لعمل أهل الصنعة الحديثية، يرى مدى عنايتهم بالإسناد

38 - البقرة : 187.

39 - التوبة : 34.

40 - المائدة : 89.

41 - الانعام : 82.

42 - عبد الغني عبد الخالق : حجية السنة : 497.

43 - معتر الخطيب : أكاذيب حول البخاري ، 6/2/2018/blogs.aljazeera.net/blogs

، إذ للرواية مكانة جلييلة، وأهمية عظيمة في نقل أشرف العلوم، إذ بالنظر للرواية قبل الإسلام نجد العرب لم يعتنوا بها، ولا بتصحيح الأخبار وتمحيصها، ومرّد ذلك لكون مروياتهم لم تكن لها من القداسة ما يدعو لذلك ولذا امتزجت بالأساطير، والأحاديث المختلفة.

أما الرواية في الإسلام بشكل عام، وفي الحديث النبوي بشكل أخص، فقد تشدّد العلماء فيها، وقعدوا لها القواعد، وصاغوا لها الشروط، وأصلوا لها الأصول بعناية فائقة تعد من أدق وأحكم ما وصل إليه النقد، قديماً، وحديثاً، ولم تبلغ الرواية في العلوم الأخرى شأواً ما بلغته رواية الحديث، ولم تلق من العناية ما لقيته لدى المحدثين من دقة النقد، وتمحيص المرويّات، ولم يتمسك رواة العلوم الأخرى بالإسناد طويلاً، كما تمسك به المحدثون، ومرّد ذلك يعود إلى كون سائر العلوم، فيما سوى القرآن والسنة، لم تتمتع بالقداسة والاحلال، كما هو الشأن في هذين الأصلين الشريفين⁴⁴.

ولذا نجد القرآن الكريم يأمر المسلمين بالثبوت في تلقي الأخبار، ونقلها، ويعتبر ذلك شهادة إذ يقول: "وما شهدنا إلا بما علمنا"⁴⁵، ويقول: "ولا تقف ما ليس لك به علم"⁴⁶، ويقول أيضاً: "إلّا من شهد بالحق وهم يعلمون"⁴⁷.

كما رفض خبر الفاسق في قوله: "يأيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا"⁴⁸، وبالنظر في تاريخ السنة النبوية، نجد الصحابة - رضوان الله تعالى عليهم - والتابعين كانوا يعيشون في جو من الصدق، إذ كان بعضهم يسند الحديث تارة، ولا يسنده أخرى، إلى أن وقعت الفتنة، وظهرت الفرق، والأحزاب، وبدأ الكذب والوضع على رسول الله ﷺ فانبرى الصحابة والتابعون لمقاومة هذه الظاهرة⁴⁹.

44 . أحمد عمر هاشم : قواعد أصول الحديث، 175-176 .

45 . يوسف : 81 .

46 . الإسراء : 36 .

47 . الزخرف : 86 .

48 . الحجرات : 6 .

49 . أحمد عمر هاشم : قواعد أصول الحديث. 177 .

وقد وردت عنهم أقوال كثيرة تدل على مطالبتهم بالإسناد عند الرواية، وتشددهم فيه، ومن ذلك: قال ابن المبارك: "بيننا وبينهم القوائم"⁵⁰، وقال في موطن آخر: "الإسناد عندي من الدين، لولا الإسناد لقال من شاء ما شاء"⁵¹.

وقال الأوزاعي: "ما ذهب العلم إلا ذهاب الإسناد"⁵²، وقال ابن عيينة: "أنه حدث الزهري يوماً الحديث، فقلت: هاته بلا إسناد، فقال الزهري: "أترقى السطح بلا سلم"⁵³، وقال سفیان الثوري "الإسناد سلاح المؤمن، إذا لم يكن معه سلاح بأي شيء يقاتل"⁵⁴، وقال ابن سيرين: "لم يكونوا يسألون عن الإسناد، فلما وقعت الفتنة قالوا: سموا لنا رجالكم، فينظر إلى أهل السنة، فيؤخذ حديثهم، وينظر إلى أهل البدع، فلا يؤخذ حديثهم"⁵⁵، وقال ابن المديني: "معرفة الرجال نصف العلم"⁵⁶.

ومن شدة حرصهم، وتدقيقهم في المحافظة على الحديث النبوي الشريف، تتبعهم لرجال السند، وسؤال كل راوٍ عن أخذ، حتى يبلغوا به رسول الله ﷺ، ومن ذلك ما قاله الشعبي للربيع بن خيثم بعد سماعه الحديث منه: "من حدثك بهذا الحديث؟"، قال عمرو بن ميمون الأودي، فلقيت عمرو بن ميمون، فقلت: من حدثك بهذا الحديث؟، فقال: عبد الرحمن بن أبي ليلى، فلقيت ابن أبي ليلى، فقلت: من حدثك؟، قال: أبو أيوب الأنصاري صاحب رسول الله ﷺ⁵⁷.

بل تجاوز ذلك إلى النظر في أحوال الشخص، وكيفية عبادته، فإن أحسن العبادة أخذوا عنه، وإن أساءها تركوا حديثه ومن ذلك:

⁵⁰. مسلم: مقدمة الجامع الصحيح. 12/1.

⁵¹. نفسه. 12/1.

⁵². ابن رجب: شرح علل الترمذي. 58/1.

⁵³. الخطيب البغدادي: شرف أصحاب الحديث. 42.

⁵⁴. ابن حبان: المحروحين. 19/1.

⁵⁵. مسلم: مقدمة الجامع الصحيح. 15/1.

⁵⁶. الخطيب البغدادي: الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع. 13/1.

⁵⁷. ابن عبد البر: التمهيد، 55/1، والجوابي: جهود المحدثين في نقد متن الحديث النبوي الشريف، 112.

قول أبي العالية : " كنا نأتي الرجل لنأخذ عنه، فننظر إذا صلى، فإن أحسنها جلسنا إليه، وقلنا : هو غيرها أحسن، وإن أساءها قمنا عنه، وقلنا : " هو غيرها أسوأ، قال أبو معمر : لفظه نحو هذا"⁵⁸.

ولم يكتفوا بالتشدد في المطالبة بالإسناد، بل تجاوزوا ذلك إلى تقنين، ووضع الصفات التي تقبل بناء عليها رواية الراوي، أو ترد، ومن ذلك :

. عن سليمان بن موسى قال : قلت لطاووس : إن فلانا حدثني بكذا، وكذا، قال : إن كان صاحبك مليا فخذ عنه "⁵⁹. وعن مسعر قال سعد بن إبراهيم : " لا يحدث عن رسول الله إلا الثقات "⁶⁰ وعن ابن حزم أثناء حديثه عن النقل عند المسلمين، لاسيما في الحديث النبوي الشريف: " نقله الثقة عن الثقة كذلك، حتى يبلغ النبي . صلى الله عليه وسلم . يخبر كل واحد منهم باسم الذي أخبره، ونسبه، وكلهم معروف الحال، والعين، والعدالة، والزمان، والمكان... "⁶¹.

. وعن مالك بن أنس قال : " لا يؤخذ العلم عن أربعة، ويؤخذ ممن سوى ذلك، لا يؤخذ من سفيه، ولا يؤخذ من صاحب هوى يدعو الناس إلى هواه، ولا من كذاب يكذب في أحاديث الناس، وإن كان لا يتهم على أحاديث رسول الله ﷺ ولا من شيخ له فضل وصلاح وعبادة، إذا كان لا يعرف ما يحدث به "⁶².

كما حثوا على تعلّم ومعرفة الروايات السقيمة، قصد الاحتراز بها عن الصحيحة، ومن ذلك قول الأوزاعي : " تعلّم ما لا يؤخذ، كما تتعلم ما يؤخذ "⁶³.

⁵⁸ . الدارمي : مقدمة السنن باب : " في الحديث عن الثقات " 123/1 .

⁵⁹ . نفسه .

⁶⁰ . نفسه .

⁶¹ . ابن حزم : الفصل في الملل والأهواء والنحل . 82/2-83 .

⁶² . ابن : عبد البر الانتقاء . 15-16 .

⁶³ . ابن عبد البر : جامع بيان العلم وفضله . 76/1 .

وقد تجاوزت المطالبة بالإسناد أهل الاختصاص، لتشمل عامة الناس، ومثال ذلك : ما رواه الأصمعي حيث يقول : " حضرت ابن عيينة، وأتاه أعرابي فقال : كيف أصبح الشيخ يرحمه الله؟، فقال سفيان : بخير نحمد الله، قال : ما تقول في امرأة من الحاج حاضت قبل أن تطوف بالبيت؟ فقال تفعل ما يفعل الحاج غير أنها لا تطوف بالبيت، فقال : هل من قدوة؟ قال : نعم عائشة حاضت قبل أن تطوف بالبيت، فأمرها النبي ﷺ أن تفعل ما يفعل الحاج غير الطواف، قال : هل من بلاغ عنها؟ قال : نعم حدثني عبد الرحمن بن القاسم عن أبيه عن عائشة بذلك، قال : الأعرابي : لقد استسمنت القدوة، وأحسنت البلاغ والله لك بالرشاد"⁶⁴.

ومما تجدر الإشارة إليه أن الإسناد قد شرف الله به هذه الأمة، وجعله خصيصة لها دون غيرها من الأمم.

قال محمد بن حاتم بن المظفر : " إنَّ الله أكرم هذه الأمة، وشرفها، وفضلها بالإسناد، وليس لأحد من الأمم كلها قديمهم وحديثهم إسناد، وإنما هي صحف بأيديهم، وقد خلطوا بكتبهم أخبارهم..."⁶⁵.

وقال أبو علي الجبائي : " خصَّ الله تعالى هذه الأمة بثلاثة أشياء، لم يعطها من قبلها : " الإسناد، والأنساب والاعراب"⁶⁶.

النقطة الخامسة : أن رحلات البخاري إلى بغداد ومكة ومصر كانت قصيرة ولم تكن كافية للسمع من كل الرواة"⁶⁷.

والجواب عن ذلك : نقول : لقد تنقل البخاري للأخذ عن مشايخ الأمصار التي استطاع الرحلة إليها، حتى قيل : إنه كتب عن أكثر من ألف شيخ"⁶⁸.

⁶⁴ - الخطيب البغدادي : الكفاية. 404.

⁶⁵ . محمد عجاج الخطيب : الوجيز في علوم الحديث. 33، والقمودي : تحقيق الأمانة. 27 .

⁶⁶ . أحمد عمر هاشم : قواعد أصول الحديث. 179 .

⁶⁷ - معتز الخطيب : أكاذيب حول البخاري ، blogs.aljazeera.net/blogs/2018/2/6 ،

⁶⁸ - ابن كثير : البداية والنهاية. 25/11.

ويؤيد هذا ماجاء عن البخاري أنه أقام بالبصرة خمس سنين معه كتبه، يصنف ويحج كل سنة، ويرجع من مكة إلى البصرة وقد قال معقبا على هذه الرحلات : " وأنا أرجو أن الله تعالى يبارك للمسلمين في هذه المصنفات"⁶⁹.

وها هو البخاري يروي عن نفسه رحلاته العلمية فيقول : " دخلت إلى الشام ومصر والجزيرة مرتين وإلى البصرة أربع مرات وأقمت بالحجاز ستة أعوام، ولا أحصي كم دخلت إلى الكوفة وبغداد مع المحدثين"⁷⁰.

وقد أخذ البخاري هذا العلم الغزير عن شيوخ كثر، إذ رحل لسائر محدثي الأمصار وكتب الحديث بخراسان والجبال ومدن العراق كلها، وبالبحجاز والشام ومصر.

قال البخاري : " كتبت عن ألف نفر من العلماء وزيادة ولم أكتب إلا عمّن قال : الإيمان قول وعمل"⁷¹.

النقطة السادسة: معظم أحاديث البخاري تساعيات بينه وبين الرسول تسعة رواة مما يوسع مجال النسيان والتدليس أو الكذب والتلفيق.⁷²

والجواب عن ذلك : توضحه طبقات شيوخ البخاري ،التي توضح دحض مدعى زعم هؤلاء ،وذلك بعلو بعض أسانيدهم إلى وجود ثلاثة رواة فقط بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ،وذلك في حالة رواية بعض شيوخه عن التابعين كما هو الحال في الطبقة الأولى من طبقات شيوخه .
الطبقة الأولى : من حدثه عن التابعين مثل : محمد بن عبد الله الأنصاري حدثه عن حميد ومثل مكّي بن ابراهيم حدثه عن يزيد بن أبي عبيد ومثل أبي عاصم النبيل حدثه عن يزيد بن أبي عبيد أيضا ومثل عبيد الله بن موسى حدثه عن إسماعيل بن أبي خالد ومثل أبي نعيم حدثه عن الأعمش ومثل

⁶⁹ - العيني : عمدة القارئ. 5/1.

⁷⁰ - ابن حجر : هدي الساري. 478، والقسطلاني : إرشاد الساري. 32/1.

⁷¹ - ابن العماد : شذرات الذهب. 134/2، وابن حجر : هدي الساري 479.

⁷² - معتز الخطيب : أكاذيب حول البخاري ، 6/2/2018، blogs.aljazeera.net

خلاد بن يحيى حدثه عن عيسى بن طهمان، ومثل علي بن عياش وعصام بن خالد حدثاه عن جرير بن عثمان، وشيوخ هؤلاء كلهم من التابعين⁷³.

كما توضح الطبقات الأخرى لشيوعه أن عدد الرواة بينه وبين النبي لا يتراوح بين أربع إلى ست رواة بينه، وبين النبي صلى الله عليه وآله وسلم⁷⁴.

. **الطبقة الثانية** : من كان في عصر هؤلاء لكن لم يسمع من ثقات التابعين كآدم بن أبي إياس وأبي مسهر عبد الأعلى بن مسهر، وسعيد بن أبي مريم وأيوب بن سليمان بن بلال وأمثالهم.

. **الطبقة الثالثة** : هي الوسطى من مشايخه، وهم من لم يلق التابعين، بل أخذ عن كبار تبع الأتباع كسليمان بن حرب، وقتيبة بن سعيد، ونعيم بن حماد، وعلي بن المديني، ويحيى بن معين، وأحمد بن حنبل، وإسحاق بن راهوية، وأبي بكر وعثمان وابني شيبه، وأمثال هؤلاء، وهذه الطبقة قد شاركه مسلم في الأخذ عنهم.

. **الطبقة الرابعة** : رفاقه في الطلب، ومن سمع قبله قليلا كمحمد بن يحيى الذهلي، وأبي حاتم الرازي ومحمد بن عبد الرحيم صاعقة، وعبد بن حميد، وأحمد بن النضر، وجماعة من نظرائهم، وإنما يخرج من هؤلاء ما فاته عن مشايخه، أو ما لم يجده عند غيرهم.

. **الطبقة الخامسة** : قوم في عداد طلبته في السن والإسناد، سمع منهم للفائدة كعبد الله بن حماد الأملي وعبد الله بن أبي العاص الخوارزمي، وحسين بن محمد القباني وغيرهم، وقد روى عنهم أشياء يسيرة، وعمل في الرواية عنهم بما روى عثمان بن أبي شيبة عن وكيع قال : لا يكون الرجل عالما حتى يحدث عمن هو فوقه وعمن هو مثله، وعمن هو دونه، وعن البخاري أنه كان يقول: لا يكون المحدث كاملا حتى يكتب عمن فوقه، وعمن هو مثله وعمن هو دونه.

⁷³ - هدي الساري 479.

⁷⁴ - نفسه.

هذا فضلا عن كون أطول إسناد في صحيحه كان سباعيا ، في حديث : " ويل للعرب من شر
قد اقترب . "

قال الإمام البخاري : حدثنا مالك بن إسماعيل حدثنا ابن عيينة أنه

سمع الزهري عن عروة عن زينب بنت أم سلمة عن أم حبيبة عن زينب بنت جحش رضي الله
عنهن أنها قالت استيقظ النبي صلى الله عليه وسلم من النوم محمرا وجهه يقول : " لا إله إلا الله
ويل للعرب من شر قد اقترب فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه
" ، وعقد سفيان تسعين أو مائة ، قيل : أنهلك وفينا الصالحون : " قال نعم إذا كثرت الخبث " ⁷⁵ .. " .
فهذا سند سباعي ، فيه ثلاث صحابييات ، هن : زينب بنت أم سلمة ، وأم حبيبة ، وزينب بنت
جحش رضي الله عنهن ، مما يجعلنا نقول : فأين ما ادعاه هؤلاء ، الذين يكتبون بمنهج " ويل
للمصلين " ، ولا يقدمون الحقائق كاملة ، اتباعا للهوى ، وإنكارا للحقائق ، وحشدا للأكاذيب
والأباطيل من أجل تسويق أفكارهم البائدة .

النقطة السابعة: قال البخاري : " صنفت كتاب الصحيح بست عشرة سنة خرجته من ستمائة
ألف حديث وجعلته حجة فيما بيني وبين الله تعالى " ⁷⁶ .

قالوا : إن 16 سنة مدة وُضِعَ لكتابه لا تكفي لتنقيح 600 ألف حديث للتحقق من شرطه
: وهو العدل ، والصدق ، وعدم التدليس ، وبحسبة بسيطة يحتاج إلى أكثر من 200 سنة لكي
ينقح 600 ألف أي بمعدل 15 دقيقة لكل حديث وهي غير كافية للقاء الرواة وتطبيق المعايير!
77

والجواب :

أ - كان حفاظ الحديث يجمعون المتن الواحد من طرق كثيرة لا اختباره ونقده ويسمون كل طريق
حديثًا ، وأن هذه الطرق تدور على أسماء شيوخ عددهم محصورٌ فعدد رجال البخاري كلهم في

⁷⁵ - البخاري : الجامع الصحيح ، كتاب : الفتن ، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم ويل للعرب من شر قد اقترب ، حديث
رقم : 6650 .

⁷⁶ - الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد . 8/2 ، وابن العماد : شذرات الذهب . 134/2 .

⁷⁷ - معتر الخطيب : أكاذيب حول البخاري ، blogs.aljazeera.net/blogs/2018/2/6 ،

الصحيح هو (1525)، يضاف لذلك أنه من أشدَّ المحدثين مذهباً في قبول الحديث، ففي العنينة مثلاً كان يشترط اللقاء ولو مرةً بين الراويين ولا يكفي بشرط المعاصرة كالإمام مسلم⁷⁸.
ب - مدح العلماء لصحيح البخاري: قال النسائي: " ما في هذه الكتب كلها أجود من كتاب محمد بن إسماعيل"⁷⁹، كما استحسّن غيره من العلماء جامعه وشهدوا له بالصحة، ومن ذلك ما رواه أبو جعفر العقيلي من أنه لما صنف جامعه عرضه على يحيى بن معين وعلي بن المديني وأحمد بن حنبل وغيرهم، فتلقوه بالقبول، وشهدوا له بالصحة إلا أربعة أحاديث، قال العقيلي: " والقول فيها قول البخاري وهي صحيحة"⁸⁰.

كما جاء في شذرات الذهب: " أجمع الناس على صحة كتابه، حتى لو حلف حالف بطلاق زوجته ما في صحيح البخاري كله حديث مسند إلى رسول الله ﷺ إلا وهو صحيح عنده، كما نقله، ما حكم بطلاق زوجته، نقل ذلك عن غير واحد من الفقهاء وقرّوه"⁸¹.

. وما أحسن ما قيل في مدح صحيحه :

صحيح البخاري لو أنصفوه لما خط إلا بماء الذهب

هو الفرق بين الهدى والعمى هو السد بين الفتى والعطب

أسانيد مثل نجوم السماء أمام متون لها كالشهب

بها قام ميزان دين الرسول ودان بها العجم بعد العرب

حجاب من النار لاشك فيه يميز بين الرضا والغضب

وستر رقيق إلى المصطفى ونص مبين لكشف الرّيب

⁷⁸ - نفسه .

⁷⁹ - ابن العماد : شذرات الذهب. 135/2.

⁸⁰ - ابن حجر : هدي الساري. 489.

⁸¹ - ابن العماد : شذرات الذهب. 136-135/2.

فيا عالما أجمع العالمو ن على فضل رتبته في الرتب
سبقت الأئمة فيما جمعت وفزت على زعمهم بالقصب
وأبرزت في حسن ترتيبه وتبويبه عجا للعجب
فأعطاك مولاك ماتشتهيه وأجزل حظك فيما وهب⁸²

هـ - أن شرط الحديث الصحيح متوفر في أحاديث البخاري، وهو : هو الحديث المسند، الذي يتصل
إسناده بنقل العدل الضابط عن العدل الضابط إلى منتهاه، ولا يكون شاذًا، ولا معللاً.⁸³
قال ابن حجر : " فلما رأى البخاري التصانيف ورواها وانتشق رباها واستجلى محياها، وجدها
بحسب الوضع جامعة بين ما يدخل تحت التصحيح والتحسين، والكثير منها يشمله التضعيف فحرك
همته لجمع الحديث الصحيح"⁸⁴.

وقد نظر الإسماعيلي في كتابه فوجده بالفعل جامعا للصحيح مفردا إياه بالتصنيف فقال : " أما بعد
فإني نظرت في كتاب الجامع الذي ألفه أبو عبد الله البخاري، فرأيتة جامعا كما سمي لكثير من السنن
الصحيحة ودالا على جمل من المعاني الحسنة المستنبطة التي لا يكمل مثلها إلا من جمع إلى معرفة
الحديث ونقلته والعلم بالروايات وعللها علما بالفقه واللغة وتمكنا منها كلها وتبحرا فيها"⁸⁵.

النقطة الثامنة : تجريح البخاري من قبل فطاحلة علم الحديث كأبي حاتم الرازي، وابنه عبد الرحمن،
ومحمد بن يحيى الذهلي⁸⁶.
والجواب على ذلك :

⁸² - ابن كثير : البداية والنهاية. 28/11، والقسطلاني : ارشاد الساري. 30/1.

⁸³ - ابن الصلاح: علوم الحديث 11.

⁸⁴ - هدي الساري. 6.

⁸⁵ - المصدر نفسه. 11.

⁸⁶ - معتز الخطيب : أكاذيب حول البخاري ، blogs.aljazeera.net/blogs/2018/2/6

أ - إن البخاري كان محل توقيير وتقدير ومدح من أهل العلم ، ومن ذلك قول بندار محمد بن بشار : "حفاظ الدنيا أربعة" وذكره فيهم، وقد اختلف في السماع مع بعض أقرانه وكانوا يكتبون ولا يكتب حتى أتى على ذلك أيام، فكانوا يلومونه على عدم الكتابة فعرض عليهم ما كتبه عن ظهر قلب وقد زاد على خمسة عشر ألف حديث ثم قال : " أترون أني اختلفت هدرًا وأضيع أيامي "87 .

ودخل مرة إلى سمرقند فاجتمع بأربعمائة من علماء الحديث بها، فركبوا أسانيد، وأدخلوا إسناد الشام في إسناد العراق وخلصوا الرجال في الأسانيد وجعلوا متون الأحاديث على غير أسانيدها، ثم قرؤوها عليه، فرد كل حديث إلى إسناده وقوم تلك الأحاديث والأسانيد كلها.

قال ابن كثير معقبا على هذه الرواية : "وما تعنتوا عليه فيها، ولم يقدرُوا أن يعلقوا عليه سقطه في إسناد ولا متن"88 .

كما كان ينظر في الكتاب مرة واحدة فيحفظ ما فيه من أول نظرة⁸⁹ ، وها هو يقول عن نفسه : " أحفظ مائة ألف حديث صحيح وأحفظ مائتي ألف حديث غير صحيح "90 .

ب - إن تلاميذ البخاري لا يحصون كثرة حتى قال فيه الفريري محمد بن يوسف : سمع كتاب الصحيح لمحمد بن إسماعيل تسعون ألف رجل، فما بقي أحد يروي عنه غيري «⁹¹ .

ج - ومن أشهر تلاميذه مسلم بن الحجاج وهنا لا يفوتني أن أسجل موقف الوفاء للإمام مسلم حين نادى محمد بن يحيى الذهلي في الناس بهجره فهجره الناس إلا مسلم، فقد قطع كل علاقاته مع شيخه

87 - الذهبي : تذكرة الحفاظ . 556/2 .

88 - ابن كثير : البداية والنهاية . 25/11 .

89 - المصدر نفسه . 25/11 .

90 - الذهبي : تذكرة الحفاظ . 556/2 .

91 - الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد . 9/2 .

الذهلي بل جمع كل ما كتب منه وأرسل به إلى بابه على ظهر حمال فاستحكمت الوحشة بينهما وتخلّى عن زيارته⁹².

والترمذي والنسائي، وابن خزيمة، وأبو زرعة وأبو حاتم، قبل أن ينساق وراء ادعاءات محمد بن يحيى الذهلي .

ج - أن أمير بلده سأله أن يحضر منزله، فيقرأ الجامع والتاريخ على أولاده، فامتنع قائلاً : في بيته الحلم والعلم يؤتى " أي : يعني : إذا كنتم تحبون ذلك، فهلموا إلي، ورفض أن يذهب إليهم، فبقي في نفس الأمير من تلك الواقعة شيئاً فاستعان عليه ببعض العلماء، حتى تكلموا في مذهبه، فأبعد من بلده، ولم يمر على ذلك إلا شهر واحد حتى زال ملك ذلك الأمير، وحمل إلى بغداد ليلقى في السجن حتى مات⁹³.

هذا السبب من ناحية، وهناك سبب آخر حول للأمير نفيه من ناحية أخرى، وهو الكتاب الذي بعثت به محمد بن يحيى الذهلي يتهم فيه البخاري بأنه يقول : لفظ الإنسان بالقرآن مخلوق.

والحقيقة أنه براء مما نسب إليه، والقضية وما فيها توضحها الرواية الآتية :

لما قدم البخاري نيسابور قال : محمد بن يحيى الذهلي : إذ هبوا إلى هذا الرجل الصالح العالم فاستقبله علماءؤها من مرحلتين أو ثلاث من البلد، وكان الذهلي أحد المستقبلين، فقال للناس لا تسألوه عن شيئ من الكلام، فإنه إن أجاب بخلاف ما نحن عليه، وقع بيننا وبينه، وشمتم بنا كل ناصبي ورافضي وجهمي ومرجئي بخراسان.

وازدحم الناس عليه حتى امتلأت عليه دار البخاريين وشرفاتها، ولما مر على ذلك ثلاثة أيام قام إليه رجل فسأله عن اللفظ بالقرآن، فقال : أفعالنا مخلوقة، وألفاظنا من أفعالنا فوقع بين الناس اختلاف، فذهب بعضهم إلى أنه قال لفظي بالقرآن مخلوق، وذهب بعضهم إلى أنه لم يقل، وأن الحقيقة تتمثل

⁹² - ابن العماد : شذرات الذهب. 134/2، وابن حجر : تهذيب التهذيب. 59/9، وهدي الساري. 490.

⁹³ - نفسها.

في كون البخاري لما ورد نيسابور واجتمع الناس عنده حسده بعض شيوخ الوقت، فقال لأصحاب الحديث إن البخاري يقول : لفظي بالقرآن مخلوق⁹⁴ .

والحق : أن البخاري مبرأ من كل نسب إليه والأدلة على ذلك كثيرة منها :

أولاً : أنه قام إليه رجل فقال : ما تقول في اللفظ بالقرآن مخلوق هو، أو غير مخلوق؟ فأعرض عنه البخاري ورفض الإجابة عن سؤاله ثلاثاً، ولما أصر عليه قال : القرآن كلام الله غير مخلوق وأفعال العباد مخلوقة والامتحان بدعة⁹⁵ .

ثانياً : ما قاله محمد بن نصر : سمعت البخاري يقول : من زعم أني قلت لفظي بالقرآن مخلوق فهو كذاب فإني لم أقله⁹⁶ .

ولما سئل لما وقع في شأنه ما وقع عن الإيمان فقال : قول وعمل، ويزيد وينقص، والقرآن كلام الله غير مخلوق، وأفضل أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي، على هذا حيين وعليه أموت، وعليه أبعث إن شاء الله تعالى⁹⁷ .

ولما وقعت للبخاري هذه المحنة ترك بلده فاراً بدينه متقياً الفتنة، نازحاً إلى بلد يقال لها خرتنك على بعد فرسخين من سمرقند، ونزل بها عند بعض أقاربه داعياً ربه أن يقبضه إليه، فما تم الشهر حتى قبضه الله تعالى⁹⁸ .

النقطة التاسعة : الطعن في صحيح البخاري من قبل كبار المحدثين كالدارقطني، في كتابه الإلزامات والتتبع، الذي استدرك على البخاري 110 أحاديث⁹⁹ .

⁹⁴ - ابن حجر تهذيب التهذيب. 52/9، وابن كثير : البداية والنهاية. 27/11.

⁹⁵ - ابن العماد : شذرات الذهب. 134/2، وابن حجر : تهذيب التهذيب. 59/9، وهدي الساري. 490.

⁹⁶ - نفسها.

⁹⁷ - المصادر نفسها .

⁹⁸ - ابن حجر : تهذيب التهذيب. 52/9.

⁹⁹ - معتز الخطيب : أكاذيب حول البخاري ، blogs.aljazeera.net/blogs/2018/2/6

- أن صحيح البخاري يحتوي على "7275" حديثاً بالمكرر¹⁰⁰. مما يجعلنا نقول : إن ما انتقده الدارقطني يعد عدداً ضئيلاً جداً مقارنة بمجموع أحاديث صحيح البخاري .

قال الحافظ ابن حجر: "وليسَ عِلْمُهَا كِلْمُهَا قَادِحَةٌ، بل أكثرها الجواب عنه ظاهرٌ، والقدر فيه مندفعٌ، وبعضها الجواب عنه مُحْتَمِلٌ، واليسيرُ منه في الجواب عنه تَعَسُّفٌ". وقد ناقشها حديثاً حديثاً في كتاب "هدي الساري"¹⁰¹.

- أن غالب الأحاديث التي انتقدها الدارقطني على البخاري ومسلم كان الحق فيها من حيث الصنعة الحديثية لجانب البخاري، ويؤد ذلك رفض جل انتقادات الدارقطني من قبل الحافظ ابن حجر، وأبي مسعود الدمشقي والنووي، الذي ذهب إلى أن استدراك الدارقطني فاسدٌ ومبني على قواعد (لبعض) المحدثين هي ضعيفةٌ جداً ومخالفةٌ لما عليه الجمهور من أهل الفقه والأصول وقواعد الأدلة قائلاً: "فلا تغترّ بذلك"¹⁰².

- أن الدارقطني والنقاد المتقدمين كانوا يصححون الحديث متى تأكدوا أن راويه قد ضبطه ولم يخطئ فيه، سواء كان من الثقات أو الضعفاء غير المتروكين، وقد صحح البخاري ومسلم أحاديث قوم ضعفاء قد أصابوا في روايتهم عن شيوخهم، فوقع للدارقطني، ما وقع للحاكم النيسابوري، من محاولة إلزام البخاري ومسلم برواة أخذوا عنهما انتقاء واختياراً، ومن رواية شيوخ معينين فقط، فيأتي أحدهم لحديث فيه رجل أخرج له صاحباً الصحيح عن شيخ معين لضبطه حديثه وخصوصيته به ولم يخرج حديثه عن غير ذلك الشيخ لضعف فيه أو لعدم ضبطه حديثه، فيحاول الدارقطني إلزامهما بذلك، أو يخرج حديثه الحاكم عن غير ذلك الشيخ ثم يقول على شرطهما أو على شرط البخاري أو على شرط مسلم، مما يجعلنا نقول: إن صاحبي الصحيحين عندما يخرجان لمن تكلم فيه فإنهما

100 - ابن حجر: هدي الساري. 465.

101 - نفسه.

102 - الخطيب البغدادي: موضح أوهام الجمع والتفريق 1/ 12 ..

ينتقيان من حديثه ما توبع عليه وظهرت شواهد وعلم أنه له أصلاً يدعمه ويعضده، ولا يروون ماتفرده به لا سيما إذا خالفه الثقات، فيأتي هؤلاء ويخرجون ذلك الحديث دون انتقاء ومتابعة¹⁰³.

النقطة العاشرة : ورود أحاديث مطعون في صحتها في صحيح البخاري مثل : حديث أن الرسول حاول الانتحار ، وحديث الداجن التي التهمت آيات فُقدت من القرآن .¹⁰⁴ .
والجواب عن ذلك :

أولاً - حديث محاولة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم للانتحار :
قَالَ الزُّهْرِيُّ فَأَخْبَرَنِي عُرْوَةُ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّهَا قَالَتْ : ... وَفَتَرَ الْوَحْيُ فَتَرَهُ حَتَّى حَزِنَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيمَا بَلَعْنَا حُزْنًا عَدَا مِنْهُ مِرَارًا كَيْ يَتَرَدَّى مِنْ رُؤُوسِ شَوَاهِقِ الْجِبَالِ ، فَكَلَّمَا أَوْفَى بِدِرْوَةِ جَبَلٍ لِكَيْ يُلْقِيَ مِنْهُ نَفْسَهُ تَبَدَّى لَهُ جِبْرِيْلُ فَقَالَ يَا مُحَمَّدُ إِنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ حَقًّا ، فَيَسْكُنُ لِدَلِكِ جَأْشُهُ ، وَتَقَرُّ نَفْسُهُ ، فَيَرْجِعُ ؛ فَإِذَا طَالَتْ عَلَيْهِ فَتْرَةُ الْوَحْيِ عَدَا لِمِثْلِ ذَلِكَ ، فَإِذَا أَوْفَى بِدِرْوَةِ جَبَلٍ تَبَدَّى لَهُ جِبْرِيْلُ فَقَالَ لَهُ مِثْلَ ذَلِكَ. " ¹⁰⁵ .
كل روايات هم النبي صلى الله عليه وسلم بالانتحار لا تصح لا سنداً ولا متناً وبيان ذلك :

1 - هذه الزيادة ليست من كلام عائشة رضي الله عنها قال ابن حجر - رحمه الله: -
" ثم إن القائل " فيما بَلَعْنَا " هو الزهري ، ومعنى الكلام : أن في جملة ما وصل إلينا من خبر رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذه القصة . وهو من بلاغات الزهري وليس موصولاً ، وقال الكرماني : هذا هو الظاهر " ¹⁰⁶ .. "

2 - قال الشيخ الألباني رحمه الله : هذا الغزو للبخاري خطأ فاحش ، ذلك لأنه يوهم أن قصة الترددي هذه صحيحة على شرط البخاري ؛ وليس كذلك .

¹⁰³ . الزيلعي : نصب الراية . 341/1 . 342 .

¹⁰⁴ - معتر الخطيب : أكاذيب حول البخاري ، blogs.aljazeera.net/blogs/2018/2/6 ،

¹⁰⁵ . البخاري : الجامع الصحيح كتاب " التعبير " ، باب : أول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصالحة ، حديث رقم : 6581 .

¹⁰⁶ . فتح الباري " 12 / 359 .

3 - ثم بين الشيخ الألباني أنه :

أ - أخرجه بهذه الزيادة أحمد ، وأبو نعيم ، والبيهقي كلهم من طريق عبد الرزاق عن معمر بهذه الزيادة ،
ب - أخرجه مسلم من طريق عبد الرزاق عن معمر أيضا ، لكنه لم يسق لفظه ، وإنما أحال به على
لفظ رواية يونس عن ابن شهاب ، وليست فيها هذه الزيادة .

ج - أخرجه مسلم و أحمد من طريق عقيل بن خالد : قال ابن شهاب ، به ، دون الزيادة .

د - أخرجه البخاري في أول الصحيح عن عقيل به .

قال الشيخ الألباني : ونستنتج مما سبق أن لهذه الزيادة علتين :

الأولى : تفرد معمر بها ، دون يونس وعقيل ؛ فهي شاذة . والثانية : أن هذه الزيادة لم تأت من
طريق موصولة يحتج بها ¹⁰⁷ .

أما حديث الداجن :

فَعَنْ عَمْرَةَ، عَنْ عَائِشَةَ، وَعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْقَاسِمِ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: " لَقَدْ نَزَلَتْ آيَةُ
الرَّحْمِ، وَرَضَاعَةُ الْكَبِيرِ عَشْرًا، وَلَقَدْ كَانَ فِي صَحِيفَةٍ تَحْتَ سَرِيرِي، فَلَمَّا مَاتَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . وَتَشَاغَلْنَا بِمَوْتِهِ، دَخَلَ دَاجِنٌ فَأَكَلَهَا " ¹⁰⁸ .

قال السندي : " هذا الخبر مما يتكيء عليه من يزعم نقص المصحف الذي بين أيدينا عن الوحي

المحفوظ الموحى به للنبي ، و الداجن : هي الشاة يعلفها الناس في منازلهم ، وقد يقع على غير الشاة من
كل ما يألف البيوت من الطير وغيرها . ¹⁰⁹ .

. قال الطبراني : لم يرو هذا الحديث عن عبد الرحمن بن القاسم إلا محمد بن إسحاق . ¹¹⁰ .

وهو حديث ضعيف ، لتفرد ابن إسحاق به ، حتى وإن صرح بالتحديث ، وذلك لأنه ليس ممن يُعتمد

¹⁰⁷ . سلسلة الأحاديث الضعيفة : برقم : 4858 ، ودفاع عن الحديث النبوي ص : 40-41 .

¹⁰⁸ . ابن ماجه : السنن : 1 / 599 ..

¹⁰⁹ . حاشية السندي على سنن ابن ماجه : 1 / 599 .

¹¹⁰ . المعجم الأوسط . 1 / 599 .

عليه في أحاديث الأحكام إذا انفرد، قال عبد الله بن أحمد بن حنبل : : قيل لأبي: يُحتج به . يعني ابن اسحاق . قال: " لم يكن يحتج به في السنن . "111 .

. وقيل له أيضا : إذا انفرد ابن اسحاق بحديث تقبله؟ قال: " لا والله، إني رأيته يحدث عن جماعة بالحديث الواحد، ولا يفصل كلام ذا من كلام ذا "112 .

وهكذا، وبعد هذا العرض اتضح رد حديث الداجن .

وفي خاتمة المطاف : نقول : لقد انكشف بالمناقشة العلمية الهادئة اهتراء، وهزال ما أسس عليه هؤلاء طعونهم في الإمام البخاري وصحيحه، هذا الرجل الذي نذر نفسه للدفاع عن السنة المطهرة، حيث يقول عن نفسه : " رأيت النبي ρ كأني واقف بين يديه ويدي مروحة أذب عنه، فسألت بعض المعبرين فقال : إنك تذب عنه الكذب، فهو الذي حملني على إخراج الصحيح¹¹³، وهو الذي جزم الكثير من الشيوخ بأنه بيض تراجم صحيحه بين قبر النبي ρ ومنبره وكان يصلي لكل ترجمة ركعتين¹¹⁴ .

نقول : إن رجلا هذه صفاته ، لا يمكنه أن يتحنى على سنة رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم تسليما كثيرا طيبا مباركا فيه ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

111 . الذهبي : سير أعلام النبلاء : 46 / 7 . .

112 . المصدر نفسه . .

113 - ابن العماد : شذرات الذهب . 134/2 ، وابن حجر : هدي الساري . 7 ، وتهذيب التهذيب . 49/9 .

114 - ابن حجر : هدي الساري . 13-14 .